الفصل الثاني
المنهج في القرآن والسنة

١ - منهج الاستقراء.
٢ - منهج القياس.
٣ - منهج الاستنباط.
٤ - منهج يوضح صدق قضية عن طريق ضرب الأمثلة.
٥ - منهج يوضح الفكرة عن طريق تبسيطها أمام الذهن بتحليلها إلى عناصرها البسيطة.
٦ - منهج يوضح الألفاظ عن طريق تعريفها.
٧ - منهج الاستيطان الذاتي.
٨ - المنهج المقارن.
٩ - منهج توليد المعاني.
١٠ - منهج إثبات صدق قضية عن طريق صدق التنبؤات التي تحميها.
١١ - منهج الكشف القلبي.
١٢ - المنهج التاريخي أو الاسترادادي.
١٣ - الكم في القرآن والسنة.
١٤ - منهج الجدل.

obeikan.com

obeikan.com

الفصل الثاني
المنهج في القرآن والسُّنة

زود الله سبحانه وتعالى الإنسان بجهاز عصبي راق استطاع بواسطته أن يكون له خاصية فريدة تميزه عن غيره من المخلوقات، وهي القدرة على الإدراك الواعي والتفكير المستنير، واستقراء الجزئيات للوصول إلى الأحكام الكلية واستنباط الأفكار المركبة من الأفكار البسيطة وغيرها من العمليات العقلية التي تتطلب قدرات خاصة لا تتوفر إلا للإنسان الذي جعله الله سيد الخليقة وأمر الملائكة والجن أن يسجدوا له احترامًا وتبجيلًا لقدراته الخلاقة التي وهبه الله إياها.

وقد استوعب الإنسان التخاطب اللغوي بالكلام المنطوق، واخترع الكتابة وأقام الحضارات، وساعده على ذلك شدة طموحه وحبه لاكتشاف المجهول ورغبته في السيطرة على البيئة وتجنب الصعاب وشغفه بتحصيل المعرفة.

وقد جبل الله الإنسان على حب الجدل وطلب الدليل الحسي والعقلي في سعيه للوصول إلى الحقائق، واكتشاف الكون من حوله، وذلك منذ طفولته يعمل على تحصيل المعرفة وكشف ما هو مجهول له.

إن الكتب المقدسة والأديان القديمة تشير إلى جوانب عديدة من التفكير الذي يتطلب اكتساب الخبرة التجريبية العملية والاستدلال المنطقي والقرآن

obeikan.com

الكريم، وهو آخر الكتب السماوية والذي يحمل خاتم رسالات السماء يتضمن بشكل لا يرقى إليه شك أصول المبادئ المنهجية العلمية في البحث والتفكير، استمدها العلماء المسلمون فدونوا في مؤلفاتهم وصفًا دقيقًا لها واعتمدوها في بحوثهم(١).

والمنهج في القرآن يقوم على استعمال العقل والحس وظاهرات الطبيعة وأسرار الكون وقوانينه؛ فالقرآن يحمل أسس ومبادئ المنهج الاستقرائي والمنهج الاستدلالي، وهو غني بالحوار والجدل بأنواعه وأساليبه المختلفة بصبر طويل وصدر رحب، لقبول الاعتراضات والرد عليها في هدوء بالمنطق السليم والبرهان القويم ليرضى طموح العقل الفطري لمعرفة الحقيقة وإثباتها بأكثر من دليل.

ويعرف المنهج بأنه الطريق الذي يؤدي إلى الحقائق بواسطة مجموعة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل، وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة، أو يبرهن على صدق حقيقة من الحقائق(٢).

والقرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة يحملان أنواع شتى من المناهج التي سنتبينها معًا(٣).

---

(١) ارجع إلى: د/أحمد سليمان عودة، د/فهمي فتحي مكاوي: «أساسيات البحث العلمي في التربية والعلوم الإنسانية» من ص: ٢٥-٢٨.

(٢) د/عبد الرحمن بدوي: «مناهج البحث العلمي» ص٥، دار النهضة العربية ١٩٦٣م.

(٣) تتمثل أشيع المناهج في صورتين من صور الاستدلال: أولهما: منهج الاستنباط الصوري؛ وهو منهج العلوم الرياضية، وثانيهما: تتمثل في منهج الاستقراء التجريبي؛ وهو منهج

ومما لا ريب فيه أن الإسلام بما يحمله من أسس ومناهج للتفكير السليم قد أحدث ثورة فكرية في الفكر العربي الذي كان يخيم عليه الجهل والخرافة والسحر والكهانة حينما أمر الناس كافة بترك عبادة ما دون الله، وإفراد العبادة والتوحيد له تعالى، وحينما حثهم على النظر العقلي والتفكر في الكون ودقة الملاحظة والبحث عن الحقيقة دون كلل أو ملل، والانفلات من القديم، وعدم التقليد الأعمى بغير وعي، وعدم التسليم بشيء إلا إذا ثبت صدقه بالدليل والبرهان، وطرح الهوى، ومحاربتهم الخرافة والسحر والشعوذة، وحثهم على طلب العلم وتقديرهم لأهله وطالبه بإقرار الحرية والمساواة بين الناس واحترامهم حقوق الإنسان ونشر العدل ومناصرتهم للحق والصدق في الأقوال والأفعال، كل ذلك وغيره من مبادئ الإسلام أزاح ستار الغفلة والجهالة عن عقول الناس(١). وأنار بصائرهم وحببهم في طلب الحقيقة لذاتها، ووضع مناهج وأسس للتفكير السليم، ومن يتأمل القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية الشريفة يقف على المناهج التي يزخرا بها فيجدها متعددة شاملة نصلح لكل الناس في كل مكان وكل زمان، وسنتبين معًا هذه المناهج، ويصور الله تعالى أهمية المنهج في قوله تعالى: ﴿أفمن يمشي مكبًّا على وجهه أهدى أمن يمشي سويًّا على صراط مستقيم﴾.

العلوم الطبيعية الواقعية. ويتفرع أولهما إلى قياس أرسطو، وهو الاستنباط الصوري، ثم الاستنباط الرياضي. انظر: د/توفيق الطويل: «أسس الفلسفة» دار النهضة القومية، ص١٤١.

(١) انظر: Brocklman: History of peoples: London ١٩٤٩.

١ـ منهج الاستقراء «Induction method»:

وهذا المنهج القائم على استقصاء الحقائق من التجربة الحسية وملاحظة الواقع ملاحظة دقيقة، والمشاهدة اليقظة للظواهر كما هي دون تعديل أو تغيير للوصول إلى حقائق أو قوانين علمية. ويأتي المنهج الاستقرائي في خطوات تبدأ بملاحظة الظواهر الطبيعية ملاحظة دقيقة «Obserevation» ثم وضع القروض «Hypothsesis» لتفسير ظاهرة ما، ثم التحقق من صدق أحد الفروض عن طريق التجربة المعملية Experiment والملاحظة.

وإذا ثبت صدق أحد الفروض عن طريق التجربة صار قانونًا علميًّا. وهذا القانون إنما يجيء ليربط الحقائق الجزئية بعضها ببعض بروابط ثابتة غير عرضية، ومتى عُرف القانون أمكن التنبؤ بوقوع الظواهر مقدمًا(١).

فالاستقراء إذن يراد به فحص مجموعة من الظواهر الحسية ابتغاء الكشف عن عللها عن طريق وصفها وتقرير حالتها وفقًا للواقع الملموس، وهو يقوم على قانون العلية العامة «Law of universal causation» اعتقادًا أن الظواهر الطبيعية تجرى على سنن ثابتة ونسق لا يتغير، وتتميز القوانين الطبيعية أو القضايا التي يصل إليها الباحث عن طريق الاستقراء بأنها وصفية تقرر حالة

---

(١) انظر: د/عزمي إسلام «مقدمة لفلسفة العلوم (الفيزيائية والرياضية)» الطبعة الأولى، ص٤٦، مكتبة سعيد رأفت، جامعة عين شمس ١٩٧٧م.

الظواهر كما هي في الواقع[١].

وقد جاء في القرآن الكريم آيات كثيرة توضح أهمية الملاحظة الدقيقة لما يجري حولنا من الظواهر الكونية الحسية، وإثبات صدق القضايا المختلفة عن طريق الاستقراء الذي يعتمد على التجربة الحسية والواقعية، وليست التجربة المعملية كما هو الحال في التجربة العلمية، وهي تجارب واقعية تتضمن روح المنهج الاستقرائي في اتخاذ التجربة الحسية محكًّا للصدق وفي اعتمادها على الواقع المشاهد الملموس.

ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم ما حدث في قصة سيدنا موسى عليه السلام عندما ذهب إلى فرعون طالبًا منه الإيمان بالله الواحد خالق كل شيء، فسأله فرعون أن يأتي بدليل على صدق ما ادعى، وجمع الناس من كل أنحاء مصر ليشاهدوا ما يجري عمليًّا لإثبات صدق أو كذب دعوة موسى عليه السلام؛ قال تعالى: ﴿وقال موسى يا فرعون إني رسول رب العالمين حقيق على أن لا أقول إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل قال: إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين. قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم. وجاء السحرة فرعون﴾ ﴿قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين قال ألقوا فلما ألقوا

---

(١) انظر: د/توفيق الطويل: «أسس الفلسفة» ص: ١٦٤، ١٦٥، وانظر أيضًا: د/محمد زيدان عمر «البحث العلمي ومناهجه وتقنياته» ص٢٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م.

سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم وأوحينا إلى موسى أن ألقي عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون﴾.

يصور القرآن هذا المشهد الذي قدم فيه رسول الله موسى عليه السلام الدليل العملي على صدق دعواه، ويصور الله تعالى نفس المشهد في قوله تعالى: ﴿فأجمعوا كيدكم ثم أتوا صفًّا وقد أفلح اليوم من استعلى. قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى. قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى فألقى السحرة سجدًا قالوا آمنا برب هارون وموسى﴾.

وبهذه التجربة الحسية الواقعية أثبت الله تعالى دعوة سيدنا موسى عليه السلام، وواضح أن هذه التجربة تحمل في باطنها فرضين قد ثبت صدق أحدهما وكذب الآخر. الفرض الأول أن موسى عليه السلام على حق في دعوته. والثاني أنه كاذب فيما ادعى -وقد استطاع إثبات صدقه ومكنه الله من عمل معجزة خارقة للعادة، مستخدمًا في ذلك أداة حسية، وهي العصاة وأمام أنظار الحاضرين وعلى مشهد منهم أثبت أنه مرسل من عند الله الذي أيده بتلك المعجزة التي ذهبت بعقول الحاضرين وأدهشت السحرة -وهي انقلاب العصاة ثعبانًا يسعى، مما جعل السحرة يؤمنون بما جاء به.

وقد قدم الله سبحانه وتعالى آية ودليلًا عمليًّا على صدق رسوله موسى عليه السلام حينما شق البحر طريقًا له ولقومه، ثم بعد عبوره هربًا من فرعون وجنوده حاول فرعون ومن معه ملاحقة موسى عليه السلام للفتك به،

فأقدموا على عبور البحر كما فعل موسى عليه السلام وقومه؛ غير أن الله أثبت لفرعون للمرة الثانية بالتجربة العملية أن موسى قد جاء بالحق من ربه؛ قال تعالى: ﴿وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون﴾. ولذا فقد آمن فرعون وجنوده بصدق سيدنا موسى عليه السلام؛ ولكن بعد فوات الأوان، وكان إيمانهم هذا نتيجة لما شاهدوه بأنفسهم من انشقاق البحر. وهذا هو منهج الاستقراء القائم على المشاهدة الحسية، ثم إجراء التجارب العملية للوصول إلى حقائق تؤيدها التجربة الحسية الملموسة. كذلك فعل سبحانه وتعالى بقوم سيدنا نوح عليه السلام حينما أثبت للكافرين من قومه بالدليل العلمي والتجربة الحسية صدق دعوة نوح عليه السلام، فأنجاه ومن معه من المؤمنين وأغرق من دونهم من الكافرين؛ قال تعالى: ﴿قال رب إن قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحًا ونجني ومن معي من المؤمنين فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون ثم أغرقنا بعد الباقين إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين﴾.

والمنهج التجريبي هنا لا يحتاج إلى شرح وتوضيح، كذلك قوله تعالى: ﴿إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابًا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئًا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب﴾. وفي هذه الآية الكريمة إلزام للخصم بما يعترف به مما هو مشاهد، والله سبحانه وتعالى يكشف للكافرين عجزهم وعجز ما يعبدون من دون الله، فيطلب منهم أن يثبتوا بالدليل المادي التجريبي أن هؤلاء آلهة يقدرون على الخلق؛ لأن من أهم سمات الله أن يكون خالقًا، فطلب الله إليهم أن يخلقوا ذبابًا، وهو من أنواع المخلوقات الضعيفة، وأكد لهم عجزهم عن أن يستردوا من الذباب شيئًا قد سلبهم إياه، وبذلك

أثبت لهم الله تعالى كذب ادعائهم أن ما يعبدون آلهة قادرة على الخلق، وأثبت لهم أنها مخلوقات عاجزة لا حول لها ولا قوة، ويقول الله تعالى في آية أخرى تحمل نفس المنهج: ﴿أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يومًا أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام. فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحمًا فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير﴾. فقد أثبت الحق في هذه الآية بالتجربة العملية والمشاهدة الحسية كيفية إحياء الموتى.

ويتضح ذلك المنهج بجلاء في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن[1] إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءًا ثم ادعهن يأتينك سعيًا واعلم أن الله عزيز حكيم﴾.

وجاء في «تفسير ابن كثير» أن سبب سؤال إبراهيم عليه السلام أنه لما قال للنمرود: ﴿ربي الذي يحيي ويميت﴾ أحب أن يترقى من علم اليقين بذلك إلى عين اليقين، وأن يرى ذلك مشاهدة، فأحضر أربعة من الطير كما أمره الله وأوثقهن وقطعهن. قال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو مالك وأبو الأسود الدؤلي وغيرهم: ﴿فصرهن إليك﴾ أوثقهن، فلما أوثقهن ذبحهن، ثم جعل على كل جبل منهن جزءًا بعد أن نتف ريشهن وخلط بعضهن ببعض، وجعل رءوسهن في يده، ثم أمره الله عز وجل أن يدعوهن فدعاهن كما أمره

(١) فصرهن إليك؛ أي فقطعهن وقيل: فأوثقهن واذبحهن.

الله عز وجل، فجعل ينظر إلى الريش يطير إلى الريش، والدم إلى الدم، واللحم إلى اللحم، والأجزاء من كل طائر تتصل ببعضها حتى قام كل طائر على حدته وأتينه يمشين سعيًا ليكون أبلغ له في الرؤية التي سألها، وجعل كل طائر يجيء ليأخذ رأسه الذي في يد إبراهيم عليه السلام، فإذا قدم له غير رأسه يأباه، فإذا قدم إليه رأسه تركب مع بقية جسده بحول الله وقوته[1].

ويبدو هذا المنهج التجريبي ظاهرًا في قوله تعالى: ﴿إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين﴾. وهذه الآية الكريمة تصور المنهج التجريبي أصدق تصوير، فقد طلب الحواريون من سيدنا عيسى عليه السلام أن يثبت لهم بالدليل العملي صدق دعواه حتى تطمئن قلوبهم وتتبدد شكوكهم ويؤمنوا عن يقين حسي مشاهد، فأنزل الله عليهم مائدة من السماء لتكون دليلًا حسيًّا يؤكد صدقه أمام المشاهدين من صحابته.

كذلك فعل سيدنا موسى عليه السلام حينما طلب رؤية ربه؛ قال تعالى: ﴿قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن أنظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًّا وخر موسى صعقًا﴾.

ولما كان من المستحيل رؤية الله تعالى في الحياة الدنيا، فاستجاب الله لعبده ورسوله موسى عليه السلام بأن جعله ينظر إلى الجبل وهو يزول حتى يطمئن قلبه بما يشاهد من برهان ربه، وهذا الدليل الحسي التجريبي يؤكد لموسى عليه

(١) ابن كثير: «تفسير القرآن العظيم» ص٣١٦.

السلام أن الله سبحانه وتعالى يتحدث إليه ويثبت له أنه يعيش واقعًا وليس وهمًا.

والأمثلة على هذا المنهج التجريبي من القرآن كثيرة نذكر منها أيضًا قوله تعالى: ﴿فبعث الله غرابًا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه﴾. وهنا يعلم الله سبحانه وتعالى الإنسان في بداية الخليقة عن طريق التجربة العملية والملاحظة الحسية، فيبعث للإنسان الأول وهو في هذه الآية «قابيل» ابن آدم أبو البشرية بعث له غرابًا يعلمه كيف يدفن أخيه «هابيل» بعد أن قتله.

وقال تعالى: ﴿قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا في الأرض ينبوعًا أن تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرًا﴾. في هذه الآيات يبين الله تعالى أن الناس لا تؤمن بما جاء به الرسل إلا إذا أقاموا الدليل المادي على صدقهم، فيطلبون إليهم رؤية معجزة خارقة للعادة حتى إذا شاهدوها بأعينهم تيقنوا أنهم صادقون. فكان الله تعالى يؤيد رسله بالمعجزات الحسية الدالة على صدقهم حتى يؤمن الناس بما جاءوا به، ويزول عنهم الشك باليقين. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أهمية المشاهدة الحسية والتجربة العملية في إثبات صدق القضايا.

ومن الآيات التي تحمل هذا المنهج أيضًا قوله تعالى: ﴿ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالًا وولدًا فعسى ربي أن يؤتين خيرًا من جنتك ويرسل عليها حسبانًا من السماء فتصبح صعيدًا زلقًا أو يصبح ماؤها غورًا فلن تستطيع له طلبًا وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم أشرك بربي

أحدًا﴾. وفي هذه الآيات يثبت الله سبحانه وتعالى بالدليل المادي والبرهان العملي القائم على منهج الملاحظة والتجربة العملية، فأصبحت حديقة من أشرك بالله قافرة خاوية على عروشها من الأشجار والثمار، بعد أن كانت مثمرة مورقة، وقد حدث ذلك أمام ناظريه فأثار عجبه ودهشته وأصبح يقلب كفيه من ذهوله، وندم الرجل على شركه بالله بعد أن شاهد ما حدث بعينيه.

وقال تعالى في قصة سيدنا صالح: ﴿قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وأتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله إن عصيته فما تزيدونني غير تخسير ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب فلما جاء أمرنا نجينا صالحًا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ إن ربك هو القوي العزيز﴾. فقد كذب قوم صالح عليه السلام دعوته، فأثبت لهم الله تعالى صدقه بالتجربة العملية، وأنزل بهم الهلاك، وأنجى صالحًا والذين آمنوا معه.

وقال تعالى: ﴿وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبًّا إنا لنراها في ضلال مبين فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكأ وأتت كل واحدة منهن سكينًا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرًا إن هذا إلا ملك كريم قالت فذالكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين﴾. وفي هذه الآيات الكريمة يتضح منهج الملاحظة والتجربة العملية حيث إن زوجة العزيز أرادت أن تثبت لنسوة المدينة أن يوسف عليه السلام من البهاء والحسن ما لا تستطيع إحداهن

مقاومته، وقد أثبتت لهن ذلك عمليًّا حتى يتيقن أنها محقة في حبها له، وحتى لا يلمنها على ذلك.

كذلك يتضح منهج الملاحظة والتجربة في ميثاق الفطرة حيث أطلع الله تعالى نفوس بني آدم على وجوده، وأشهدهم أنه الله الحق حتى لا يقولوا يوم القيامة أنهم كانوا عن ذلك غافلين، وأنهم لا يعرفون الله؛ قال تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون﴾. ويتضح منهج الملاحظة والتجربة بجلاء عندما أثبت الله تعالى بالبرهان العملي أنه الإله الحق، وأنه قادر وحده على حماية رسله الذين يدعون الناس لعبادته وينصرهم على أعدائهم، فحينما ألقى الكفار بسيدنا إبراهيم في النار ليحترق جزاء ما فعله بأصنامهم أمر الله تعالى النار أن تكون بردًا وسلامًا على إبراهيم فكانت. وبعد أن خمدت النار وجد الكفار إبراهيم عليه السلام يجلس وسطها في أمان وسلام لم يحترق منه إلا وثاقه، فكان ذلك دليلًا عقليًّا تجريبيًّا على صدق إبراهيم؛ قال تعالى: ﴿قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين قلنا يا نار كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم وأرادوا به كيدًا فجعلناهم الأخسرين﴾.

إن هذه الآيات وغيرها الكثير تحمل دليلًا قاطعًا على احترام الإسلام للواقع الحسي وعلى اهتمامه باتخاذ التجربة والمشاهدة محكًّا لصدق القضايا الحسية، ولهذا يدعو الله سبحانه وتعالى الإنسان للتدقيق في ملاحظة الواقع الحسي من حوله، وألا يمر على الظواهر المحيطة به في الأرض والسماء مر الكرام دون توقف وهو غافل عنها، فدعاه الله إلى ملاحظة كل ما حوله

ملاحظة دقيقة فاحصة واعية، وأن يستقرئ الجزئيات من عالم الطبيعة بهدف الوصول إلى معرفة قوانينها، فطالب الإنسان بدراسة الواقع وحثه على المشاهدة التي تؤدي إلى إيقاظ التفكير، ومن ثم يستطيع الإنسان أن يستنبط بعملية ذهنية بسيطة أن هذا الواقع المشاهد بما فيه من عظمة الصنع، ودقة التركيب، وتناسب الأوزان والأحجام والكتل، وتناسق الأشكال، وجمال الألوان، وطيب الروائح والطعوم التناسق والتناغم القائم بين مفردات الطبيعة، والترابط المتقن بين أجزائها بمقادير مقننة لا مجال للصدفة العمياء فيه، لا بد أن يكون كل ذلك من صنع خالق قدير أبدع كل هذا الجمال وصور تلك العظمة، وقنن هذه النسب الدقيقة وربط بين المتناقضات، وهو من له الخلق والأمر، الله الواحد القادر البديع؛ قال تعالى: ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت﴾. هذه الآيات الكريمة تدعونا إلى النظر في الكيفية التي وجدت عليها الأشياء. والبحث في الكيفية هو مجال البحث العلمي القائم على الاستقراء، فالعلم دائمًا يبحث عن إجابة للسؤال كيف؟ أما الفلسفة فإنها تبحث عن إجابة للسؤال لماذا؟ والقرآن الكريم يثير التساؤلين حتى يوقظ العقل البشري من غفلته، ويدعوه إلى البحث والتفكير والنظر العلمي، إلى جانب المشاهدة الحسية واستقراء الواقع للوقوف على كيفيته أو القوانين العلمية التي تفسره. وهذا قد اتضح لنا في الفصل السابق عند الحديث عن النظر العقلي في القرآن. ولا ريب أن كل آية من الآيات السالفة التي تحمل في ثناياها المنهج الاستقرائي تتضمن أيضًا فرضًا يريد الله سبحانه وتعالى أن يثبت صدقه عمليًّا، ويثبت كذب عكسه عمليًّا أيضًا.

٢ـ منهج القياس Syllogism Methode:

وهو منهج عقلي يستخدم لإثبات صدق قضية، وهو ضرب من الاستدلال الاستنباطي قائم على فعل الذهن الذي يلمح علاقة مبدأ أو نتيجة بين قضية وأخرى أو بين عدة قضايا، وينتهي الحكم بالصدق أو الكذب أو إلى حكم بالضرورة أو الاحتمال[١]. وقد حملت آيات القرآن الكريم أنواعًا عديدة للقياس العقلي من ذلك على سبيل المثال لا الحصر؛ قوله تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾. وفي هذه الآية الكريمة نوع من أنواع القياس العقلي يتمثل في الآتي:

لو كان في السماء والأرض أكثر من إله لفسدتا لاختلاف الآلهة واختلاف إرادتهم وأفعالهم؛ مما يؤدي إلى فساد الأرض والسماء. إن السماء والأرض تسيرا على نظام منضبط ومقنن ومستقر، ولهذا لم تفسدا. وهذا بدوره يدل على أن السماء والأرض فيهما إله واحد. وهذا الدليل يسمى بـ«دليل التمانع» وهو أنه لو كان للعالم صانعان فعند اختلافهما؛ مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم والآخر يريد تسكينه، فإما أن يحصل مرادهما، أو مراد أحدهما، أو يحصل مراد واحد منهما. والأول ممتنع لأنه يستلزم الجمع بين الضدين، والثالث ممتنع لأنه يستلزم خلو الجسم من الحركة والسكون وهو ممتنع، ويستلزم أيضًا عجز كل منهما، والعاجز لا يكون إلهًا، وإذا حصل مراد أحدهما دون الآخر كان هذا هو

---

(١) انظر: فخر الدين الرازي: أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، راجعه وقدم له/ طه عبد الرءوف سعد، ص٥٢.

الإله القادر والآخر عاجزًا لا يصلح للإلهية[١]. ويسمى هذا القياس أيضًا «قياس الخلف» «Reduction ad absurdum» وهو قائم على إثبات المطلوب بإبطال نقيضه؛ وذلك لأن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان، كالمقابلة بين العدم والوجود، وفي هذه الآية إذا بطل النقيض ثبت الحق[٢]. كما يسمى هذا القياس أيضًا «الاستدلال بالمحال». وهذا الدليل يسوقه علماء الكلام على النحو التالي:

«لو كان في السماوات والأرض إله غير الله لتنازعت الإرادتان بين سلب وإيجاب، وأن هذا النزاع قد يؤدي إلى فسادهما لتناقض الإرادتين؛ ولكنهما (أي السماوات والأرض) صالحان غير فاسدين فبطل ما يؤدي إلى الفساد فكانت الوحدانية»[٣].

وقوله تعالى: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا﴾. فإذا ثبت أن القرآن ليس فيه اختلافًا ولا تضاربًا في مقرراته ولا عباراته، فإنه يثبت النقيض؛ وهو أنه من عند الله تعالى، ومن الآيات التي تحمل قياسًا عقليًّا قوله تعالى: ﴿أو لم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير﴾. والقياس العقلي في هذه الآية يتمثل في أن الله خلق السماوات والأرض ولم يناله التعب بخلقهن –

---

(١) علي محمد بن محمد بن أبي المعز: «شرح الطحاوية في العقيدة السلفية» الطبعة الثانية، ص١٢، دار الفكر ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٢) «المعجم الفلسفي» الصادر عن مجمع اللغة العربية، ص١٠٥.

(٣) علي بن محمد بن أبي العز: الرسالة الطحاوية، ص٦٢.

وهذه قضية أولى، والقضية الثانية أن إحياء الموتى أقل بكثير من خلق السماوات والأرض وما فيهما من مخلوقات حية وغير حية؛ إذن الله قادر على إحياء الموتى، بل إنه على كل شيء قدير «نتيجة».

وهذا القياس يثبت به الله تعالى أنه قادر على إحياء الموتى، ويرد به على المتشككين في قدرته تعالى على إحياء الموتى، وإذا حولنا هذا القياس إلى رموز لقلنا: إذا كان الله سبحانه قادر على عمل (س)، وكانت (س) أصعب بكثير في عملها من (ص). إذن الله قادر على عمل (ص) لأنه الأسهل، فمن يقدر على عمل الأصعب فإنه يقدر على عمل الأسهل.

وقال تعالى: ﴿أأنتم أشد خلقًا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها متاعًا لكم ولأنعامكم﴾. وهذا مثال آخر لهذا النوع من القياس العقلي. ففي هذه الآيات الكريمة جاء أن خلق السماوات والأرض التي رفع الله سمكها وبناها وسواها بدقة ونظام متقن وأغطش ليلها وأخرج نهارها، والأرض التي خلقها بعد ذلك على هيئة بيضاوية، وأخرج منها الماء والمرعى، وجعل عليها جبالًا كالرواسي، وجعلها بخيراتها متاعًا للإنسان والأنعام -كل ذلك أشد بكثير في خلقه وإيجاده من خلق الإنسان: ﴿أأنتم أشد خلقًا أم السماء بناها﴾ فمن يستطيع أن يقوم بالأعمال الصعبة يمكنه أن يقوم بالأعمال الأقل صعوبة؛ فخلق الإنسان أهون بكثير من خلق السماوات والأرض، وهذه الآية تحمل دليلًا للمقارنة بين الخلق الأكبر والخلق الأصغر[1].

(١) انظر: محمد أبو زهرة: «المعجزة الكبرى» ص٤٠١.

- قياس ما في الغيب على المشاهد:

قال تعالى: ﴿وضرب لنا مثلًا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحيها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارًا فإذا أنتم منه توقدون أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم﴾. ففي هذه الآيات الكريمة تعقد مقارنة بين الخلق الأول وإعادة الخلق من جديد، فهو قياس ما في الغيب على المشاهد، وقياس ما بينه الله وأوجب الإيمان به على ما هو واقع بالفعل، والقادر على عمل ما هو واقع قادر على عمل مثله مستقبلًا.

- الاستدلال على صدق قضية ما عن طريق ذكر أوصاف معينة تدل على الصدق:

وقد جاء ذلك في مثل قوله تعالى: ﴿يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيًّا﴾. ففي هذه الآية استدلال على صدق مريم وطهارتها وعذريتها بذكر أوصاف أبيها وأمها، مما يستدل منه على أنها من أصل صالح لا يقترف الآثام والكبائر.

- قياس الدلالة:

وهو تجمع ما بين الأصل والفرع بدليل العلة وما يلزم عنها من نتائج، وقد جاء مثل هذا القياس في آية مثل قوله تعالى: ﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير﴾.

- **قياس شرطي Conditional syllogism:**

وهو قياس إحدى قضاياه شرطية، وقد ورد هذا النوع من القياس في مثل قوله تعالى: ﴿قل لا أملك لنفسي نفعًا ولا ضرًّا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾. وهذه الآية الكريمة يثبت فيها الله تعالى أن سيدنا محمدًا صلى الله عليه وسلم بشر يبصر الناس بطريق الخير ويبشر المؤمنين بالجنة، وينذر الكافرين بعذاب النار، وقد جاء ذلك على هيئة القياس الشرطي. **القضية الأولى** في: ﴿قل لا أملك لنفسي نفعًا ولا ضرًّا إلا ما شاء الله﴾، **والقضية الثانية:** ﴿لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء﴾.

وينتج عن ذلك أنني بشر مثلكم بشير ونذير لقوم يؤمنون؛ حيث إنني لا أعلم الغيب ولا أستكثر من الخير، ولا أستطيع دفع السوء عن نفسي، ويمكن إيراد هذا القياس بصورة أخرى هي:

إذا كان من لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا ولا يعلم الغيب بشر «فعل شرط».

محمد صلى الله عليه وسلم لا يملك لنفسه نفعًّا ولا ضرًّا ولا يعلم الغيب.

إذن محمد صلى الله عليه وسلم بشر «جواب شرط».

- **قياس مضمر Enthymeme**

وهو قياس طويت مقدمته الكبرى أو الصغرى إما لظهورها والاستغناء عنها، وإما لإخفاء كذبها؛ أي تحذف في هذا القياس أحد المقدمات مع وجود

ما ينبئ عن المحذوف. وقد ذهب صاحب الطحاوية[١] إلى أن هذا القياس مبناه الحذف والإيجاز، ومن أمثلته قول الله تعالى : ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين﴾. وقد جاء هذا القياس على النحو التالي:

إذا كان الخلق من غير أب مسوغًا لاتخاذ عيسى إلهًا، فأولى أن يكون الخلق بغير أب ولا أم مسوغًا لاتخاذ آدم إلهًا، ولا أحد يقول ذلك.

في هذا القياس نلاحظ أنه قد حذفت مقدمته، وكان القياس هو: إن آدم خلق من غير أب ولا أم، وعيسى خلق من غير أب. ولو كان عيسى إلهًا بسبب ذلك لكان آدم أولى أن يكون إلهًا. وآدم ليس ابنًا لله ولا إله باعترافكم، فعيسى أيضًا ليس ابنًا لله ولا إلهًا.

ويرى صاحب شرح الطحاوية: «إن الطريقة الفصيحة في البيان أن تحذف أحد المقدمات وهي طريقة القرآن»[٢]. والحذف في هذا القياس وأمثاله قد أكسب الكلام جمالًا وجعل القضية قصيرة وبليغة. وإذا حولنا هذا القياس إلى رمز يكون كالتالي: أ ب، أ جـ خرجا من المركز إلى المحيط، فالخطان أ ب، أ جـ متساويان[٣].

---

(١) علي بن علي بن أبي العز: «شرح الطحاوية في العقيدة السلفية» ص٢٣.

(٢) المرجع السابق من نفس الصفحة.

(٣) «المعجم الفلسفي»: أصدره مجمع اللغة العربية تصوير د/إبراهيم مدكور، ص١٥١، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

- قياس اقتراني Conjunctive syllogism:

وهذا القياس لا تكن عين النتيجة أو نقيضها مذكورًا فيه بالفعل، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم﴾. وهنا يقرن عدم الربح في التجارة بالغش والإضلال وخداع المستهلك.

- قياس العلامة Enthymeme:

وهو قياس تشتمل مقدماته على علامة تشير إلى النتيجة، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم﴾. وهذا القياس يمكن أن يكون على الشكل التالي:

إن الله رءوف رحيم.

من كان رءوفًا رحيمًا لا يضيع إيمان المؤمنين.

إذن: الله لن يضيع إيمانكم أيها المؤمنون.

- الاستدلال بالمحال Apagogicmethod:

وهو يرادف برهان الخلف، وأساسه البرهنة على صحة المطلوب بإبطال نقيضه أو إفساد المطلوب بإثبات نقيضه، وقد ورد هذا المنهج في الكثير من آيات القرآن الكريم، وهو يتعلق بالقضايا الكاذبة التي يربط الله تعالى فيها بين قضية كاذبة وأخرى مستحيلة الحدوث، ويجعل حدوث القضية الثانية «المستحيلة» شرطًا لصدق الأولى «الكاذبة». ولما كانت القضية الثانية «المستحيلة» الحدوث ثبت كذب الأولى. ومن أمثلة الآيات التي تتضمن هذا المنهج قوله تعالى: ﴿قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون

الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولا يتمنونه أبدًا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين﴾. والاستدلال الوارد في هذه الآية هو:

أن أولياء الله يتمنون الموت لما يعرفونه من حسن المصير.

اليهود لا يتمنون الموت أبدًا.

إذن: هم ليسوا صادقين في زعمهم أنهم أولياء الله.

ومن الآيات التي تحمل هذا المنهج أيضًا قوله تعالى: ﴿إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين﴾. وفي هذه الآية جعل الله دخول الجنة أمرًا مستحيلًا للذين كفروا بآياته واستكبروا عنها وقرن دخولهم الجنة بأمر مستحيل هو دخول الجمل من فتحة الإبرة الشديدة الضيق المستخدمة في حياكة الملابس.

ومن أمثلة الاستدلال بالمحال قوله تعالى: ﴿قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًّا وخر موسى صعقًا. فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين﴾.

٣- منهج الاستنباط Deduction method:

وهذا المنهج ينتقل فيه الذهن من قضية أو عدة قضايا إلى قضية أخرى هي النتيجة، وذلك وفق قواعد المنطق.

ومن أمثلة الآيات القرآنية التي تحمل هذا المنهج قوله تعالى: ﴿قال هي

راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم﴾. وهذه الآيات الكريمة تحمل منهجًا استنباطيًّا، فهي تستنبط صدق قضية من قضية أخرى، فإذا كان قميص يوسف عليه السلام قُد من الأمام فيستنبط من ذلك أنها مزقته وهي تدفعه عن نفسها. أما إذا كان قميصه ممزقًا من الخلف فيستنبط من ذلك أنها مزقته وهي تجذبه إليها، بينما هو يحاول الفرار منها. وهكذا أمكن إثبات صدق يوسف وكذبها؛ لأن قميص يوسف قُد من الخلف.

٤- منهج توضيح صدق قضية عن طريق ضرب الأمثلة Repressention by Analogy:

وهذا المنهج يقوم على فكرة أن الذهن لا يعرف الأمور المحسوسة مباشرة، وإنما يعرفها عن طريق الأفكار التي تماثلها فهي تقوم مقامها -وقد تضمنت الكثير من آيات القرآن الكريم هذا المنهج لتبسيط الأفكار وتوضحيها عن طريق ضرب الأمثلة حتى تتضح أمام الذهن ويسهل استيعابها. ومن أمثلة هذه الآيات قوله تعالى: ﴿كذلك يضرب الله الحق بالباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال﴾. ففي هذه الآية يتناول الله تعالى قضية الحق والباطل ويقارن بينهما، فيضرب الباطل مثلًا بالزبد «أي الفقعات الهوائية أو الريم» الذي يعلو السوائل، فما تلبث أن تئول إلى الزوال، أما الحق فإنه يمكث في الأرض لأن فيه نفس للناس. وقال تعالى: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل

سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾. ويضرب الله مثلًا في هذه الآية لتوضيح قيمة الصدقة، وبذل المال في مساعدة الفقراء والمحتاجين، وعمل الخير للفرد والمجتمع، يضرب الله مثلًا بمن زرع حبة واحدة من القمح فأنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة، فنال من الخير أضعاف أضعاف ما فعل، فكذلك من ينفق أمواله في سبيل الله له أضعاف مضاعفة من الحسنات، وبهذا المثل أصبحت فكرة مضاعفة الحسنات والجزاء عليها أكثر وضوحًا أمام العقل، وهذا المنهج أيضًا يتضح في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدًا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي الكافرين﴾، وقوله تعالى: ﴿ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتًا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير﴾. وفي هذه الآية الكريمة يفرق الله سبحانه بين من يقدم صدقة للفقير ثم يمن عليه بما قدم له أو يُلحق به الأذى بأي شكل من الأشكال؛ وبين من يقدم صدقة لوجه الله دون مَنٍّ ولا أذى، فضرب الله مثلًا للمتصدق في الحالة الأولى بحجر مغطى بالتراب فنزل عليه المطر وتركه صلدًا؛ فلا ينبت فيه نبات ولا يثمر نتيجة لهطول الغيث عليه. ومثل المتصدق ابتغاء مرضاة الله كمثل حديقة على ربوة عالية أصابها الغيث فأنبتت وأزهرت وأثمرت وأتت أُكلها، وتلك أمثلة لتبسيط الفكرة وتقريبها إلى الأذهان حتى لا يذهب عمل المتصدق هباء منثورًا ويضيع أجره بسبب المن والأذى، وقال الله تعالى في ذلك أيضًا: ﴿أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من

الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون﴾. وفي هذه الآية يشبه الله تعالى من يقدم الصدقة ويلحقها بالمن والأذى بإنسان له حديقة غناء وقد أصابها الكبر وأولاده صغار ضعفاء لا يقدرون على شيء، فهبَّ إعصار فهي نار فاحترقت الحديقة وأصبحت حطامًا، وهو عاجز عن عمل شيء، فذهب عمله أدراج الرياح في وقت هو أحوج ما يكون إليه.

ويتضح هذا المنهج أيضًا في قوله تعالى: ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾. وفي هذه الآية يصور الله تعالى حال المرابي الذي يستغل حاجة الناس إلى المال ويبتز منهم الفوائد بأنه يقوم من قبره كالمصروع الذي يتخبطه الشيطان. وبهذا المثل يوضح الله بشاعة الربا.

كذلك يرد هذا المنهج في قوله تعالى: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾. والله تعالى في هذه الآية يزيل شك من يرتاب في بشرية عيسى عليه السلام ويدعي له الألوهية، أو أنه ابن الله لأن له أم وليس له أب، وليدلل سبحانه على أن عيسى بشر يضرب مثلًا بآدم، فهو بشر رغم أن لا أب له ولا أم.

وورد هذا المنهج أيضًا في مثل قوله تعالى: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقًا حرجًا كأنما يصعد في السماء﴾. يصور الله تعالى في هذه الآية حال من يضيق صدره للإسلام ويضل عن سواء السبيل، فمثله كمثل من يصعد إلى طبقات الجو العليا ويشعر بضيق في صدره لقلة الأوكسجين ثم انعدامه، وهذا المثل ضربه الله لتوضيح حال

الضال عن سبيله حتى تتضح الفكرة في الأذهان. ومن الآيات التي تضمنت هذا المنهج قوله تعالى: ﴿واتل عليهم نبأ الذي أتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض وأتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾. ويضرب الله في هذه الآيات مثلًا لمن تأتيه الأدلة والبراهين على وجود الله ووحدانيته وعلى القضايا الإيمانية، وهو مُصر على عناده وإنكاره لها، فهو يكذب إذا لم ير الأدلة أو البراهين، ويكذب أيضًا إذا جاءته فهو كالكلب إذا حملت عليه الأثقال يلهث، وإذا تركته يلهث أيضًا، فلا فرق في الحالتين.

والأمثلة على هذا المنهج من القرآن كثيرة ومتعددة نكتفي فيها بما ذُكر. ومن الأحاديث النبوية الشريفة التي تحمل هذا المنهج قول الرسول صلى الله عليه وسلم: **«مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة[1]؛ ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمر لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مُر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر»**[2]. وقال صلى الله عليه وسلم: **«مثل المؤمن كمثل النحلة إن أكلت أكلت طيبًا،**

---

(١) الأترج: شجر يعلو ناعم الأغصان والورق والثمر، وثمره كالليمون الكبار، وهو ذهبي اللون، ذكي الرائحة والطعم. «المعجم الوجيز» طبعة وزارة التربية والتعليم ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص٤.

(٢) علاء الدين محمد المتقي بن حسام: «كنز العمال» ج١ ص١٤٨.

وإن وقعت على عود نُخر لم تكسره، ومثل المؤمن مثل سبيكة الذهب إذا نفخت عليها احمرت، وإن وزنت لم تنقص»[١]. وقال صلى الله عليه وسلم: **«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد؛ إذا اشتكى منه عضو تداعتْ له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»**[٢]. وكل هذه الأمثلة لتوضيح الفكرة وإظهارها دون لبسٍ أمام العقل.

٥ـ منهج توضيح الفكرة عن طريق تبسيطها أمام الذهن بتحليلها إلى عناصرها البسيطة Analysis:

وهو منهج عام يراد به تقسيم الكل إلى أجزائه، ورد الشيء إلى عناصره المكونة له. وقد جاء هذا المنهج في كثير من آيات القرآن الكريم توضيحًا لأفكار أو قضايا عن طريق تبسيط الفكرة أو القضية بإرجاعها إلى عناصرها البسيطة التي تتألف منها، نذكر من هذه الآيات على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلًا لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾. وفي هذه الآية الكريمة منهج لتبديد شكوك من لا يؤمنون بالبعث بعد الموت عن طريق تحليل الإنسان إلى عناصره البسيطة التي تكون منها، وتحليل مراحل نشأته وتطورها إلى أن ينتهي الأجل، ومن ينظر بتأمل لعملية خلق الإنسان ويتتبعها يمكنه أن يتعقل بعثه مرة ثانية. فالله تعالى

---

(١) علاء الدين محمد المتقي بن حسام: «كنز العمال» ج١ ١٤٩.

(٢) علاء الدين علي المتقي بن حسام: «كنز العمال في الأقوال والأفعال» ج١ ص١٤٩.

خلق آدم من تراب، ثم خلق من ظهره حواء، ومنهما خلق الأبناء، فيكون الجنين في بداية تكوينه نطفة مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى، ثم عَلَقَة -وهي القطعة الجامدة من الدم- ثم مُضْغَة، ثم عظامًا، ثم يكسو الله العظام لحمًا، ثم يكتمل الجنين ويصير طفلًا ويخرج إلى الحياة، فيظل التطور مستمرًّا فيشتد عوده شيئًا فشيئًا حتى يكبر ويصير شابًّا، ثم شيخًا، ثم يتوفاه الله، ومن الناس من يتوفى قبل إتمام هذه المراحل، ومنهم من يتمها، ويريد الله بهذا التحليل للتطورات التي يمر بها الإنسان توضيح أنه سبحانه وتعالى قادر على أن يخلق الإنسان بهذه الكيفية. إذن هو قادر على أن يُعيد خلقه وبعثه إلى الحياة بعد الموت. وهكذا استخدم الله تعالى هنا المنهج القرآني في تبسيطه لفكرة الخلق وفكرة البعث حتى لا يرتاب العقل الإنساني في البعث يوم القيامة.

٦- منهج توضيح الألفاظ عن طريق تعريفها Definitional method:

وهو منهج يطلق على جملة خصائص يتواضع عليها العلماء لتحديد الحقائق، والإعانة على الفهم ووضوح الأفكار في الذهن. وتعتبر التعريفات من أهم مكونات النسق الرياضي أو الاستدلالي[١].

---

(١) يقوم العلم الرياضي في بداية بحثه مجموعة من التوضيحات أو التعريفات التي سوف يستخدمها في هذا البحث مثل تعريف «إقليدس» في الهندسة المستوية القديمة للنقطة بأنها «ما ليس لها أجزاء»، ويتكون النسق الرياضي من التعريفات والبديهيات والمصادرات والمبرهنات وقواعد الاستدلال، د/ عزمي إسلام: «مقدمة لفلسفة العلوم» ط١ ص١١١،

وللتعريف وظيفتان:

وظيفة سيكولوجية وأخرى منهجية؛ فهو من ناحية يعين على الفهم ووضوح الأفكار في الذهن، كما أنه من ناحية أخرى يستخدم في البرهنة والاستدلال[١]. ومن الآيات القرآنية التي تضمنت تعريفًا للألفاظ لتوضيح معناها قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقًّا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم﴾. في هذه الآيات الكريمة يعرف الله تعالى المؤمنين بأنهم هم الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، وإذا سمعوا القرآن الكريم زادهم ذلك إيمانًا وهم المتوكلون على ربهم والمقيمون للصلاة، والذين ينفقون مما رزقهم الله من الرزق الحلال، ولهم درجات عند ربهم، وهم المغفور لهم، والذين يرزقهم الله رزقًا كريمًا.

وقال تعالى في تعريف المؤمنين أيضًا: ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم

وانظر أيضًا: د/إبراهيم مدكور: «التعريف ووظيفته المنهجية عند ابن سينا»، مجلة الكتاب، العدد ١١.

(١) «المعجم الفلسفي» تصدير د/إبراهيم مدكور، مجمع اللغة العربية، نشر الهيئة العامة للكتاب ص٤٩.

وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾. وعرف الله المؤمنين أيضًا بقوله تعالى: ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا والذين يبيتون لربهم سجدًّا وقيامًا والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غرامًا إنها ساءت مستقرًّا ومقامًا والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قوامًا والذين لا يدعون مع الله إلهًا آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق آثامًا﴾.

ويعرف الله تعالى أولو الألباب بقوله: ﴿أولوا الألباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرًّا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار﴾. وقال تعالى مُعرفًا النسيء[1]: ﴿إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عامًا ويحرمونه عامًا ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين﴾.

وقال تعالى في تعريف أصحاب الأعمال السيئة: ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالًا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم

(١) النسيء: أي تأخير حُرمة شهر من الشهور الحرام إلى شهر آخر غيره، وكانوا يفعلون ذلك إذا هلَّ شهر محرم وهم يحاربون أحلوه وحرموا بدلًا منه شهرًا آخر.

لهم يوم القيامة وزنًا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوًا﴾.

وقال تعالى في تعريف المنافقين والمنافقات: ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم﴾. ويقول تعالى في تعريف سقر: ﴿سأصليه سقر وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا وليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانًا﴾. وقال تعالى في التعريف بالجنة: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم﴾.

وقال تعالى في تعريف أنواع الحجارة: ﴿وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله﴾. ويعرف الله عباده بذاته العليا فيقول: ﴿قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد﴾، وقال تعالى أيضًا: ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾.

وقد جاء في السُّنَّة النبوية توضيحات لمعاني الألفاظ عن طريق تعريفها؛ من

أمثلة ذلك تعريف الإسلام والإيمان. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في تعريف الإسلام: «**الإسلام أن تسلم وجهك لله عز وجل، وأن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة وتصوم شهر رمضان**»(١). وقال صلى الله عليه وسلم في توضيح معنى الإيمان: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتؤمن بالجنة والنار والميزان، وتؤمن بالبعث بعد الموت، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»(٢). وروي عن محمد بن إسحاق، عن النعمان بن سعد: «أن أربعين رجلًا من اليهود دخلوا على علي بن أبي طالب فقالوا له: صف لنا ربك هذا الذي في السماء كيف هو؟ ومتى كان؟ وعلى أي شيء هو؟ فقال علي: معشر يهود اسمعوا مني ولا تبالوا أن تسألوا أحدًا غيري؛ إن ربي عز وجل هو الأول لم يبد من ما ولا ممازج مع ما، لا حال وهمًا ولا شبح يتقصا ولا محجوب فيحوى، ولا كان بعد أن لم يكن فيقال حادث، بل جل أن يكيف بتكيف الأشياء. كيف كان بل لم يزل، ولا يزول لاختلاف الأزمان ولا تقلب شان بعد شان، وكيف يوصف بالأشباح وكيف ينعت بالألسن الفصاح من لم يكن في الأشياء فقال كائن ولم يبن منها فيقال بائن، بل هو بلا كيفية، وهو أقرب من حبل الوريد وأبعد في الشبهة من كل بعيد، لا يخفى عليه من عباده شخوص لحظة، ولا كرور لفظة، ولا ازدلاف ربوة، ولا انبساط خطوة في غسق ليل داج ولا إدلاج، ولا يتغشى عليه القمر

---

(١) علاء الدين علي المتقي بن حسام الهندي: «كنز العمال في الأقوال والأفعال» ط١، ص٣٢، مؤسسة الرسالة.

(٢) المرجع السابق: ص٢١.

المنير ولا انبساط الشمس ذات النور بضوئها في الكرور، ولا إقبال ليل مقبل، ولا إدبار مكان وكل حين وأوان وكل نهاية ومدة، والأمدُ إلى الخلق مضروب والحد إلى غيره منصوب، لم يخلق الأشياء من أصول أولية ولا بأوائل كانت قبله بدية، بل خلق ما خلق فأقام خلقه فصور فأحسن صورته، توحد في علوه فليس لشيء منه امتناع ولا له بطاقة شيء من خلقه انتفاع، إجابته للداعين شريعة، والملائكة في السماوات والأرضين له مطيعة، علمه بالأموات البادئين كعلمه بالأحياء المنقلبين، وعلمه بما في السماوات العُلى كعلمه بما في الأرضين السفلى، وعلمه بكل شيء، لا تحيره الأصوات ولا تشغله اللغات، سميع للأصوات المختلفة؛ فلا جوارح ولا أدوات ولا شفاه ولا لهوات، سبحانه وتعالى عن تكييف الصفات، من زعم أن إلهنا ممدود فقد جهل الخالق المعبود، ومن ذكر أن الأماكن به تحيط لزمته الحيرة والتخليط؛ بل هو المحيط بكل ما كان، فإن كنت صادقًا أيها المكلف لوصف الرحمن بخلاف التنزيل فصف لنا جبرائيل وميكائيل وإسرافيل هيهات، أنعجز عن صفة مخلوق مثلك وتصف الخالق المعبود، وإنما لا تُدرك صفة رب الهيئة[١] والأدوات، فكيف من لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وله ما في الأرض وما بينهما، وهو رب العرش العظيم»[٢].

(١) رب الهيئة أي الشيء الحسي الذي له هيئة وشكل وجسم مادي.

(٢) علاء الدين علي المقفى بن حسام: «كنز العمال» ط١، ص٤١٠.

٧ـ منهج الاستبطان الذاتي Subjective method:

وهو منهج يقوم على تفسير الظواهر النفسية في ضوء المشاعر والميول الداخلية، ويتلخص في التأمل الباطني، وأكثر ما يستعمل في علم النفس. وقد تضمن الكثير من آيات القرآن الكريم هذا المنهج من ذلك على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك﴾. في هذه الآية الكريمة ينبه الله سبحانه وتعالى رسوله إلى خفايا النفس البشرية، ويوضح له أنها العامل المباشر وراء تصرف المنافقين، وقال تعالى: ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره﴾. وقال تعالى داعيًا عباده إلى تأمل ذواتهم ومعرفة خفايا نفوسهم: ﴿وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾. وقال تعالى: ﴿أولم يتفكروا في أنفسهم﴾. وفي هذه الآيات الكريمات يوجه الله تعالى عباده إلى تأمل أنفسهم لمعرفة حقيقتها، فكل إنسان عليه أن يدقق النظر في ذاته ليقف على خفاياها، فإذا أدرك أنها نفس ضعيفة علم أن الله وحد هو القوي المتين، وإذا أدرك أنها معجزة في تكوينها وتنظيمها علم أن الله هو الخالق المصور العظيم، وإذا أدرك أنها عاقلة علم أن الله هو الذي منحها العقل والحكمة، وإن أدرك العلاقة بينها وبين البدن وعلم بالدقة التي أوجد الله عليها هذا البدن الذي تسوسه النفس -علم أن ذلك آية كبرى على عظمة خلق الله وإبداعه وقدرته، ولذلك قال تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾. فالله سبحانه وتعالى يكشف لمن يتأمل ذاته ويتأمل العالم من حوله آيات بينات على وجوده وعلى قدرته وعظمته وإبداعه في الخلق، فقال تعالى كاشفًا النفس البشرية: ﴿فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه

ونعمه فيقول ربي أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن﴾. وهذا يعني أن الإنسان إذا تأمل نفسه سيدرك حقيقتها، وهي أنها تتقرب إلى الله عندما يكون صاحبها في شدة، ثم إذا زالت تلك الشدة عادت النفس إلى سابق عهدها من الجحود لنعم الله، ويتضح ذلك من قوله تعالى: ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾. ففي هذه الآية يكشف الله النقاب عن النفس البشرية التي تتقرب إليه تعالى بالدعاء وقت الشدة والحاجة، ثم إذا بلغت مأربها نسيت فضل الله عليها وعادت إلى المعصية.

ومن الآيات التي تحمل هذا المنهج قوله تعالى: ﴿فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرًا﴾. وهذه الآية تصور الحالة النفسية التي يكون عليها الإنسان أثناء خوفه، فإذا زالت أسباب انفعال الخوف والفزع نسي ما كان عليه وعاد إلى الجدل وسلاطة اللسان، وهذه سمات الكافرين بالله وطبيعة نفوسهم. وقد ورد ذلك أيضًا في مثل قوله تعالى: ﴿وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض﴾. وهذه الآية تصور حال الكبرياء والتعالي التي تعتري نفس الإنسان المُنعم؛ أمَّا إذا زالت النعمة أو لحق به شر فإنه يرجع إلى ربه بالدعاء طالبًا رفع الكرب عنه، وهنا يعرف الإنسان مدى ضعفه وقلة حيلته. والله سبحانه مطلع على ما يبطنه الإنسان في نفسه فيعلم أنه إذا بسط له الرزق لبغى وتكبر. ويقول الله في ذلك: ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير﴾. ويشير

الله تعالى إلى أنه خلق النفس الإنسانية وفطرها على الخير والشر، وعلى الإنسان أن يزكي الخير في نفسه باتباع الأخلاق الإسلامية وممارسة العبادات الشرعية، فيطوع نفسه الأمارة بالسوء لنفسه المطمئنة. قال تعالى: ﴿إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي﴾، وقال تعالى: ﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها﴾.

وكثيرًا ما يتأمل الإنسان نفسه ويحاسبها على أفعالها ويلومها على ما اقترفه من أعمال سيئة؛ قال تعالى في ذلك: ﴿ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ إشارة منه تعالى إلى وجود هذا الجانب اللوام في النفس الإنسانية، والذي يجب أن يزكيه الإنسان ليراقب نفسه دائمًا ويحاسبها. قال تعالى: ﴿أولم يتفكروا في أنفسهم﴾. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«من عرف نفسه فقد عرف ربه»**[(١)]. فجعل الله تعالى معرفة الإنسان لنفسه مفتاحًا لمعرفته لربه.

٨- الكم والمقدار في الكتاب والسنة:

اهتم القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية الشريفة باستخدام الكم والمقدار[(٢)] في الكثير من قضايا الإيمان؛ فقد حرص الله سبحانه وتعالى على توضيح حقيقة هامة وهي أن كل شيء خلقه سبحانه في هذا العالم كان بقدر معلوم ونسب

---

(١) «شرح الكرماني» ط١٢، ص١٦٢، «فتح الباري» ط١٠ ص٣٥٨، «عمدة القارئ» للعيني ط١٠، ص٣٣٩، «شرح القسطلاني» ط٩، ص١٦، وأخرجه مسلم في «الآداب» والترمذي في «البر».

(٢) لمعرفة المزيد عن قضية الكم في القرآن الكريم ارجع إلى: د/كوكب عامر: «الرد على زعم المستشرقين بأن القرآن غير منزل» ص: ١٥٧-١٦٠.

محددة في تركيبه وتكوينه في كمية وجوده في العالم وخواصه الطبيعية، وقد ورد ذلك في مثل قوله تعالى: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾، وقال تعالى: ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾، وقال تعالى: ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾.

ويوضح الحق تعالى أيضًا أن النباتات مركبة من مواد محسوبة ونسب مقدرة معلومة وموزونة في قوله تعالى: ﴿وأنبتنا فيها من كل شيء موزون﴾. وقد أثبت العلم المعاصر بما لا يدع مجالًا للشك أن جميع الموجودات من أكبر كبيرة إلى أصغر صغيرة خاضعة في وجودها وتكوينها لنسب محددة بكم معلوم، ولا نستطيع أن نقول بالتحديد أن القرآن الكريم يحمل المنهج الكمي «Quantitative method» الذي يستخدم البيانات الكمية كالعدد أو الحجم أو القياس أو الوزن للوصول إلى نتيجة. وإنما يمكن أن نقول: إن الكثير من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة قد ورد بها بيانات كمية مثل قوله تعالى: ﴿ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعًا قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السماوات والأرض﴾. فهذه الآية الكريمة تخبرنا أن أهل الكهف لبثوا فيه ثلاثمائة سنة؛ وذلك منذ أن أنامهم الله حتى أيقظهم وهي تتضمن الفرق بين السُّنَّة الشمسية والقمرية ثلاث سنين لكل مائة سنة فتصير تسعًا بعد الثلاثمائة، ولذلك قال تعالى: ﴿وازدادوا تسعا﴾[1]. ثم يقول الله تعالى: ﴿والله أعلم بما لبثوا﴾. وفي ذلك إشارة خفية إلى نسبية الزمان واختلافه من مكان إلى آخر في هذا الكون الفسيح، ومما يدعم ذلك القول ما جاء في آيات أخرى تحمل

(١) ابن كثير: «تفسير القرآن العظيم» ج٣١، ص٧٨.

إشارات مباشرة إلى نسبية الزمان في مثل قوله تعالى: ﴿وإن يومًا عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾. وهذا يعني أن اليوم الواحد عند الله تعالى يعادل ألف سنة على الأرض، كذلك قوله تعالى: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾.

ومن الآيات القرآنية التي تحمل بيانات كمية قوله تعالى: ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض﴾. وقال سبحانه وتعالى عن القمر: ﴿وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب﴾. وقال سبحانه وتعالى في جزاء العمل الطيب أنه جعل الحسنة بعشرة أمثالها وتتضاعف الحسنات إلى سبعمائة ضعف، وضرب لذلك مثلًا في قوله تعالى: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾.

وتحمل الآيات القرآنية الخاصة بتوزيع التركات بين الورثة بيانات كمية دقيقة؛ ومن أمثلة تلك الآيات قوله تعالى: ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصى بها أو دين﴾. وقال تعالى: ﴿ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن

مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين وإن كان رجل يورث كلالة[١] أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منمها السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين﴾.

هذه الآيات القرآنية وأمثالها من القرآن الكريم تحمل بيانات كمية، وهناك أيضًا الأحاديث النبوية ما يقوم على العدد والكم في توضيح قضية ما، مثل قوله صلى الله عليه وسلم: «**من قرأ القرآن فأعربه كله** (أي أفصحه وأظهره وبين إعرابه) **كان له بكل حرف أربعون حسنة، ومن أعرب بعضه ولحن بعضه كان له بكل حرف عشرون حسنة، ومن لم يعرب منه شيئًا كان له بكل حرف** (أي كل حرف يقرأه) **عشر حسنات**»[٢]، وقال صلى الله عليه وسلم: «**القرآن ألف ألف حرف وسبعة وعشرون ألف حرف ...إلخ**»[٣]. وهذا الحديث الشريف يحمل إحصائية بعدد حروف القرآن؛ وهي مليون وسبعة وعشرون ألفًا من الحروف. وقال صلى الله عليه وسلم: «**من قال: سبحان الله وبحمده؛ كان له مثل مائة رقبة تعتق، إذا قالها مائة مرة. ومن قال: الحمد لله مائة مرة؛ كان عدل** (أي يساوي) **مائة فرس مُسرج ملجم في سبيل الله. ومن قال: الله أكبر مائة مرة؛ كان عدل بدنة تنحر بمكة**». وأمثال هذه الأحاديث كثيرة، وهي تعتمد على الطريقة

---

(١) كلالة: أي مَن لا ولد له ولا والد.

(٢) علاء الدين علي المتقي بن حسام الهندي المتوفى سنة ٩٧٥ه: «كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال» ط١، ص٥٣٣، مؤسسة الرسالة.

(٣) علاء الدين علي المتقي بن حسام الهندي المتوفى سنة ٩٧٥: «كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال» ط١، ص٤٧٣.

الرقمية في بيان قيمة العمل الصالح.

٩- المنهج المقارن Comparative method:

وهو منهج الوصول إلى الحقيقة عن طريق المقابلة أو المقارنة بين الأحداث والآراء بعضها ببعض؛ لكشف ما بينها من تشابه أو اختلاف أو علاقة. يقول «ابن خلدون» عن هذا المنهج: «إن الباحث يحتاج إلى العلم باختلاف الأمم والبقاع والأمصار في السير والأخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الأطوال والإحاطة بالحاضر من ذلك ومماثلة ما بينه وبين الغائب من الوفاق والاختلاف ويعلل المتفق منها والمختلف»(١).

وهذا المنهج أكثر ما يستعمل في علم مقارنة الأديان. ومن أمثلة الآيات القرآنية التي تحمل هذا المنهج قوله تعالى: ﴿أومن كان ميتًا فأحييناه وجعلنا له نورًا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾. وهذه الآية الكريمة تحمل مقارنة بين من في الضلالة هالكًا حائرًا، فأحيا الله قلبه بالإيمان وهداه إلى سواء السبيل وإلى نور الإيمان، وبين حال من ظل يتخبط في الظلمات وهي الأهواء والشهوات والكفر والضلالة، لا يهتدي إلى منفذ ولا مُخلص له مما هو فيه شتان بين الحالين(٢).

ومن الآيات التي تحمل هذا المنهج قوله تعالى: ﴿لا جرم أنهم في الآخرة

---

(١) ابن خلدون: «المقدمة» ص١٦٥، وانظر أيضًا: «المعجم الفلسفي» الصادر عن مجمع اللغة العربية، تصدير د/إبراهيم مدكور.

(٢) ابن كثير: «تفسير القرآن العظيم» ج٢ ص١٧٣.

هم الأخسرون إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلًا أفلا تذكرون﴾. وهذه الآية تحمل مقارنة بين حال الأشقياء وحال السعداء؛ وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات قولًا وفعلًا، وبهذا ورثوا الجنات بما فيها من نعيم مقيم، ومثل الكافرين والمؤمنين كمثل الأعمى والبصير؛ فالكافر أعمى عن الحق، والمؤمن يرى الحق بوضوح، ومثلهم كمثل السميع والأصم؛ فالكافر أصم عن سماع الحجج فلا يسمع ما ينتفع به، أما المؤمن ففطن ذكي لبيب بصير بالحق يميز بينه وبين الباطل فينتفع بالخير ويترك الشر، وهو سميع للحجة يفرق بينها وبين الشبهة فهل يستوي هذا وهذا؟!(١). وقد ورد هذا المنهج أيضًا في قوله تعالى: ﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدًا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون﴾. وفي هذه الآية الكريمة يوضح الله سبحانه وتعالى أن التربة الصالحة تخرج نباتًا صالحًا؛ وأما التربة الملوثة الفاسدة لأي سبب من الأسباب فإنها تخرج نباتًا ضارًّا، وهذا أيضًا يعني أن المقدمات الصحيحة تعطي نتائج صحيحة والعكس بالعكس كذلك؛ العمل الصالح يؤدي إلى نتيجة صالحة والعمل غير الصالح يأتي بنتيجة فاسدة. وقال مجاهد وابن عباس وغيرهم من مفسري السلف: هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمنين والكافرين(٢). قال تعالى: ﴿أفمن يمشي مكبًّا على وجهه أهدى أمن يمشي سويًّا على صراط مستقيم﴾.

---

(١) ابن كثير: «تفسير القرآن العظيم» ج٢ ص٤٤٣.

(٢) المرجع السابق: ج٢ ص٢٢٣.

وهذه الآية تحمل مقارنة بين من يسير بغير هدى هائمًا دون منهج يلتزم به، وبين من يسير وفق منهج واضح ثابت الخُطى.

ومن الآيات التي تحمل المنهج المقارن قوله تعالى: ﴿وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات﴾. وفي هذه الآية الكريمة مقارنة بين حالات متباينة بوضوح؛ فالأعمى لا يستوي مع المبصر، والظلمة لا تتساوى مع النور، والظل لا يُعادل الحرور، والأحياء ليسوا كالأموات، فكل واحد من هؤلاء له شأنه الخاص الذي يميزه الله تعالى؛ يريد أن يلفت نظر الإنسان العاقل أن يدرك بعقله الفروق بين الأشياء حتى يستطيع أن يفرق بين الحق والباطل والثمين والغث والخير والشر؛ قال تعالى: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾. وقال تعالى: ﴿لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون﴾. ولا ريب أن هذا المنهج المقارن يساهم في إدراك الحقيقة، ويوضح الفروق بين المتناقضات والعلاقة بين الأشياء حتى يسهل الوقف عليها ومعرفتها معرفة صحيحة.

١٠ـ منهج توليد المعاني Maieutics:

وهذا المنهج قائم على طرح الأسئلة مرتبة والإجابة عليها لاستخلاص الأفكار من العقل، لجعل المسئول يتذكر الحقائق الأولية، وهو استفهام على المقدمات البينية البرهانية التي لا يمكن لأحد أن يجحدها، وهي تدل على المطلوب لتقرير المخاطب بالحق ولاعترافه بإنكار الباطل. ومن أمثلة هذا المنهج في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿قل من رب السماوات السبع ورب

العرش العظيم سيقولون الله، قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون الله، قل فأنى تسحرون بل آتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون﴾. ومن الآيات الكريمة التي تحمل هذا المنهج قوله تعالى: ﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين أم له البنات ولكم البنون أم تسألهم أجرًا فهم من مغرم مثقلون أم عندهم الغيب فهم يكتبون﴾. وقال تعالى: ﴿أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشأكم في ما لا تعلمون ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ولو نشاء لجعلناه حطامًا فظلتم تفكهون[1] إنا لمغرمون بل نحن محرمون أفرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ولو نشاء جعلناه أجاجًا فلولا تشكرون أفرأيتم النار التي تورون[2] أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعًا للمقوين فسبح باسم ربك العظيم﴾.

ومن أمثلة الآيات التي تحمل منهج توليد المعاني قوله تعالى: ﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آالله خير أم ما يشركون أمن خلق السماء

(١) تفكهون أي: تتفكهون بمعنى تعجبون، وأصل التفكه التنقل بصفوف الفاكهة، وقد استعير للتنقل بالحديث، انظر: «المصحف المفسر» ص٧٢٦.

(٢) تورون: أي تقدمون.

والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون[١] أمن جعل الأرض قرارًا وجعل خلالها أنهارًا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزًا أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلًا ما تذكرون أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرًا بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون أمن يبدءوا الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله﴾. والأمثلة على هذا المنهج من القرآن الكريم كثيرة نكتفي منها بما سلف.

وقد جاء أيضًا في أقوال الصحابة منهج توليد المعاني من أمثلة ذلك: عن جعفر بن محمد، عن أبيه قال: قيل لعلي بن أبي طالب: إن هاهنا رجلًا يتكلم في المشيئة فقال: يا عبد الله، خلقك الله لما شاء أو لما شئت؟ قال: لما شاء، قال: فيمرضك إذا شاء أو إذا شئت؟ قال: بل إذا شاء، قال: فيميتك إذا شاء أو إذا شئت؟ قال: بل إذا شاء. قال: فيضلك حيث شاء أو حيث شئت؟ قال: حيث شاء ... إلخ، ثم تلا عليٌّ: ﴿وما يذكرون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة﴾[٢]. وفي هذا الحديث أراد علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- أن يثبت للرجل أن إرادة الله وقدره ومشيئته هي النافذة، ولكي يقنعه بهذه القضية اتبع معه منهج توليد المعاني، فقام بطرح الأسئلة عليه والرجل يجيب حتى تكشفت له الحقيقة.

---

(١) يعدلون: أي يميلون عن الحق ويعدلون عنه.

(٢) عماد الدين بن علي المتقي: «كنز العمال في الأقوال والأفعال» ج١ ص٣٤٤.

١١ـ منهج إثبات صدق قضية عن طريق صدق التنبؤات التي تحملها:

إذا ما تحققت هذه التنبؤات كما أخبرت بها القضية دل ذلك على صحتها وصدقها، ومن الآيات القرآنية التي تحمل هذا المنهج قوله تعالى: ﴿إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطًا مستقيمًا وينصرك الله نصرًا عزيزًا﴾. وفي هذه الآية يبشر الله تعالى نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم بفتح مكة وبأنه سينصره على الكفار نصرًا عظيمًا، وقد صدق هذا الذي تنبأت به الآية؛ فدل ذلك على صدق دعوة محمدٍ وصدق نبؤته، وقال تعالى: ﴿وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فجعل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكن آية للمؤمنين ويهديكم صراطًا مستقيمًا وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرًا ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليًّا ولا نصيرًا سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلًا﴾. وهذه الآية أيضًا تحمل هذا المنهج، فهي تخبر بتحقيق الوعد الذي قطعه الله على نفسه بنصر المؤمنين على الكفار، وقد تحقق ذلك بالفعل، فدل على صدق القرآن الكريم وصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم. وقد ورد هذا المنهج أيضًا في سورة الفتح في قوله تعالى: ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون ما لم تعلموا فجعل من كل ذلك فتحًا قريبًا هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدًا﴾. وفي هذه الآية الكريمة يَعِد الله المؤمنين بمستقبل عظيم مع رسولهم، ويبشرهم بدخول المسجد الحرام آمنين دون قتال، ويطمئنهم ويطلب إليهم ألا يخشون عدوهم؛ لأنه سبحانه يعلم ما لا يعلمون من انتصارهم وانتشار

الإسلام وفتح مكة في المستقبل القريب، ويبشرهم بأنَّ الإسلام سيكون له شأن عظيم ويظهر على سائر الأديان؛ لأنه خاتمها. وكي يزيد الله تعالى من اطمئنانهم يقول لهم: يكفي أنَّ الله هو الذي يعدكم بذلك ويشهد على تحقيقه، ﴿وكفى بالله شهيدًا﴾.

وقد حق وعد الله للمؤمنين وانتصروا وانتشر دين الإسلام وتحققت النبوءة بما لا يدع مجالًا للشك أو الجدل(١). وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن القرآن من الله الذي يعلم الغيب وحده، ويرد على القائلين ببشرية القرآن(٢). ومن الآيات التي تحمل هذا المنهج قوله تعالى: ﴿ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون﴾. وفي هذه الآية الكريمة يستعجل الكفار وقوع بأس الله بهم، وذلك من باب عدم الإيمان وعدم التصديق بنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، فهم يجدون انتصار محمد وصحبه مستحيلًا؛ حيث إن الكفار لهم الجمع الأكبر والعدة الأوفر والجاه الأوسع؛ بينما المسلمون قلة لا عَدد ولا عُدة، غير أن الله سبحانه يطمئن رسوله ومن تبعه بأن لهم النصر المبين على أعداء الدين الذين يقولون: متى تنتصر علينا كما تزعم؟ ما نراك وأصحابك إلا خائفين ذليلين! فيقول لهم رب العزة: ﴿قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون﴾ أي: يوم أن يحل بهم بأس الله وينتصر عليهم المسلمون لن ينفعهم

---

(١) انظر: أبو الحسن النيسابوري: «أسباب النزول» ص٢٨٥.

(٢) لمعرفة المزيد من الآيات التي تحمل هذا المنهج ارجع إلى: د/كوكب عامر: «الرد على زعم المستشرقين بأن القرآن غير منزل» ص٨٣ وما بعدها.

ما كانوا يؤمنون به من دون الله. ويطلب الله من نبيه أن ينتظر نصر الله ووعده الحق بالفتح العظيم، وقد تحقق بالفعل نصر المؤمنين وحقت كلمة الله على الكافرين[١]. وتحققت النبوءة وذلك دليل عملي أكيد على صدق الدين وصدق الوحي، ولذلك قال تعالى: ﴿إن ما توعدون لصادق وإن الدين لواقع﴾. وقال تعالى أيضًا: ﴿فسيعلمون من هو شر مكانًا وأضعف جندًا﴾، وقال تعالى: ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾، وقال تعالى: ﴿وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين﴾.

ومن الآيات التي تحمل هذا المنهج أيضًا: ﴿ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر الله من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾. وفي هذه الآية إخبار من الله تعالى بأن الروم -وهم أهل الكتاب- سينتصرون على الفرس وهم عبدة النار في ذلك الحين، في بضع سنين؛ أي من سنة إلى ثماني سنوات، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله. وقد كان ذلك فانتصرت الروم على الفرس، وكانا في ذلك الزمان أكبر قوتين في العالم، وعندما بلغ الخبر المسلمين كانوا يحتفلون بنصرهم في حرب بدر على الكفار، فصدق الله العظيم في كل ما أخبر به، وهذا دليل على أن القرآن من عند الله.

---

(١) ابن كثير: «تفسير القرآن العظيم» ج٣ ص٧٩، وانظر أيضًا: أبو الحسن الواحدي النيسابوري: «أسباب النزول» ص٢٨٥.

١٢- منهج الكشف القلبي وهو ما يسمى بالمنهج الإشراقي Illuminism

وفي هذا المنهج يكون الإشراق أو الذوق القلبي هو مصدر المعرفة، وهو ضرب من الإشراق القلبي الذي يربط الذات العارفة ارتباطًا روحيًّا بالله تعالى، وهدفه معرفة الله معرفة لدينه يفيضها الله على قلب الإنسان المؤمن دون وساطة من حسي أو عقل، فهو حدس قلبي مباشر يشرق من لدن الله على قلب عبده الواصل إلى حضرته، وسبيله إلى ذلك مجاهدة نفسه وتطهيرها من أدران الشهوة والهوى والأخلاق الذميمة وتنقية قلبه من التعلق بحب الدنيا، والتحلي بالأخلاق الكريمة، والتقرب إلى الله بالعبادات والرياضات العملية والروحية، وبذلك تتطهر سريرته ويكون أهلًا لتقبل الفيوضات الربانية والمعرفة القلبية. وهذا هو المنهج الصوفي Mysticism القائم على العلم بالشريعة والعمل بها، وهو منهج البحث في أحوال النفس الباطنة، ويسعى إلى تصفية القلب والتطهر والتجرد والتحقق بالمقامات والأحوال الصوفية، وهدفه معرفة الله تعالى معرفة قلبية، وقد جاء في القرآن الكريم والسُّنَّة الشريفة إشارات كثيرة إلى هذا المنهج في مثل قوله تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾، وقوله تعالى: ﴿الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب﴾، وقوله تعالى: ﴿والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾، وقوله تعالى: ﴿آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علمًا﴾، وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾.

١٣ـ المنهج التاريخي Historical Method:

وهو منهج يعتمد على النصوص والوثائق التي هي مادة التاريخ الأولى ودعامة الحكم القوية، فيتأكد من صحتها ويفهمها على وجهها ولا يحملها أكثر من طاقاتها، وبذلك يستعيد الماضي ويكون أجزاءه البالية ويعرض منه صورًا تطابق الواقع ما أمكن. ونستطيع أن نقول عن ثقة: إن علماء الحديث قد وضعوا أسس وقواعد وأصول منهج البحث التاريخي أو المنهج الاستردادي عند تدوينهم للسنة النبوية الشريفة، والتحري الدقيق والكامل عن صحة نسبة الأحاديث إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، والتأكد من أن رواة الحديث رجال ثقة، وأن كثرتهم وتباعد أماكنهم مع إجماعهم على قول واحد يحيل دون تواطئهم على الكذب[١]. وقد بذلوا جهودًا مضنية؛ وقال في ذلك ابن حجر: «إن الأخبار التي تشاع ولو كثر ناقلوها إن لم يكن مرجعها إلى أمر حسي عن مشاهدة أو سمع لا تستلزم الصدق[٢]. وذلك هو شأن الأدلة النقلية، ولذلك فإن اتصال سند رواة الأحاديث النبوية الشريفة لا بد أن يكون صحيحًا، وأن يكونوا رواة ثقة يمتدون بسند متصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويكون آخرهم قد شاهد الرسول وسمع منه وأخذ عنه للتأكد من صحة الأحاديث، ولذلك فقد قسم رجال الحديث السُّنَّة إلى أقسام بحسب ثبوتها والتأكد من صحة نسبتها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم. ومن الحقائق المطوية في ثنايا كتب التراث أن الأحاديث النبوية قد دونت في حياة الرسول

---

(١) لمعرفة المزيد عن هذا الموضوع ارجع إلى: ابن حجر: «فتح الباري» ج٣ ص٢٣٦.

(٢) ارجع إلى: ابن حجر: «فتح الباري» ج٣ ص٢٣٦.

صلى الله عليه وسلم وفي حياة صحابته وكتبها عنهم من سمعها منهم. وقد كتب عن الرسول ما أملاه من الفرائض وغيرها؛ كتبها الوافدون عليه أو أرسلها إلى من رأى إرسالها إليه لتكون تبصرة وتذكرة فيما افترض عليهم من الفرائض أو أدبهم به من سني الأدب، ومن أمثلة تلك الكتب كتابه صلى الله عليه وسلم إلى «عمرو بن حزم» في بيان أنواع الديات والصدقات من الإبل والبقر والغنم والذهب والورق والثمر والحب وغيرها من صنوف الصدقات[1]. وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بكتابة خطبته يوم فتح مكة، فكتبها عنه أبو شاه، وثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: **«لا تكتبوا عني إلا القرآن، فمن كتب عني شيئًا فليمحه»**. وهذا الحديث وأمثاله مما يتضمن النهي عن كتابة الحديث كان في صدر الإسلام؛ لأن العرب لم يكونوا قد تمرسوا بعد بأساليب القرآن، فخشي صلى الله عليه وسلم من أن يختلط عليهم الأمر فيظن أن ما بالصحف من رأي القرآن إنما هو كلام الرسول، فيختلط القرآن الكريم بالسُّنة. ولما ازداد تفقههم في الدين وكثر سماعهم للقرآن وعرفوا طرائقه في التعبير، واستبان لهم نهجه الفريد في تصوير المعاني أمرهم الرسول بتدوين السُّنَّة؛ ومن ذلك أنه طلب من عبد الله بن عمرو بن العاص بالاستمرار في كتابة الحديث، فهذا يدلنا على أن السُّنَّة قد بدأ تدوينها منذ عصر الرسول، ثم الصحابة والتابعين، ووضعوا أصول منهج البحث التاريخي في البحث عن الحقيقة والتدقيق في صحة الرواية ودرجة الثقة في

(١) انظر: «فتح الباري شرح صحيح البخاري» للإمام العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٣هـ، ج١، تقديم السيد أحمد صقر.

الراوي، ومدى قدرته على نقل الرواية صحيحة، ودرجة أمانته في النقل، وهم في ذلك يهتدون بما جاء في القرآن الكريم من الحث على توخي الدقة والحذر في نقل الأخبار، وضرورة التيقن من صدق ما يُقال، فالقرآن في تناوله لأخبار الأمم السابقة وتاريخ الأنبياء وقصصهم كان ينقل كل ذلك بأمانة وصدق، حتى أن الخبر أو الحدث الواحد -وليكن قصة سيدنا موسى عليه السلام- كان يُذكر في عدة مواضع من القرآن، وفي سور مختلفة، وكل الآيات التي تتناول الحدث تصوره تصويرًا صادقًا، وتكتمل الحقيقة حول هذا الحدث من جملة الآيات التي ورد فيها؛ قال تعالى: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثًا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء﴾. وقد حملت آيات القرآن الكريم في طياته المنهج الاستردادي في مثل قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قومًا بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾. فهذه الآية الكريمة تحث على البحث في صحة ما يروى من أنباء وضرورة التحقق من صدقها، فهي تحمل أمرًا إلهيًّا بالبحث في الوقائع وعدم تقبل وتصديق الأخبار دون تمحيص وتدقيق يثبت صحتها[1]. وتلك

(١) ظل القرآن طوال أربعة عشر قرنًا بعيدًا عن التحريف، واعترف بذلك المنصفون من المستشرقين، فليس من حق مؤمن أو ملحد أن يعمد إلى حذف أو إضافة أو تحريف، ولا يباح ذلك بإجماع أو اجتهاد بالرأي؛ يقول «نولدكه» Noeldcke من كتاب «تاريخ القرآن» ج٢: إن النص القرآن المتداول بين المسلمين -بمن فيهم الشيعة- هو أحسن صورة من الكمال والمطابقة، وقد أكد «موير» MUIR في كتابه «محمد والقرآن» أن المصحف الذي جمعه عثمان قد انتقل من يد إلى يد حتى وصل إلينا بغير تحريف، فلا يوجد إلا قرآن واحد يجمع الفرق الإسلامية المتنازعة المتصارعة، والنص القرآني باق كما هو على الدوام يتحدى

هي روح منهج التاريخ وأهم سماته.

١٤ـ منهج الجدل Dialectic method:

الجدل عبارة عن مراء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها[١]. وهو طريقة للمناقشة والاستدلال أخذ عدة معان[٢]. والمجادلة هي مخالفة تبغي إلزام الخصم بطريق مقبول محمود بين الجمهور[٣].

وإذا كان منهج الجدل هو إقامة البراهين والأدلة لإثبات صدق قضية

الزمن. وقال «لوبولو» Lobolo في كتابه «القرآن والتوراة العبرية»: إن القرآن هو الكتاب الرباني الوحيد الذي ليس فيه أي تغيير يذكر. انظر أيضًا: د/توفيق الطويل: «قضايا من رحاب الفلسفة والعلم»، دار النهضة العربية ١٩٨٦م، ص١٥٩.

(١) الكرماني: التعريفات: ص٦٦.

(٢) للجدل معان متعددة في المدارس الفلسفية منها: (أ) عند سقراط: الجدل مناقشة تقوم على حوار وسؤال وجواب، (ب) عند أفلاطون: الجدل منهج في التحليل المنطقي يقوم على قسمة الأشياء إلى أجناس وأنواع؛ بحيث يصبح علم المبادئ الأولى والحقائق الأزلية. (ج) عند أرسطو ومناطقة المسلمين: الجدل قياس مؤلف من مشهورات ومسلمات. (د) عند «كانت»: الجدل منطق ظاهري في سفسطة المصادرة على المطلوب وخداع الحواس. (ه) عند «هيجل»: انتقال الذهن من قضية ونقيضها إلى قضية ناتجة عنهما، ثم متابعة ذلك حتى نصل إلى المطلق.

انظر: «المعجم الفلسفي» تصدير الدكتور/إبراهيم مدكور، الصادر عن مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

(٣) ابن سينا: «الشفاء» كتاب الجدل، ص٢٣.

obeikan.com

وإقناع الخصم عن طريق المحاورة الفكرية، فإن القرآن الكريم يقوم في كثير من آياته الكريمة على الجدل والمحاورة العقلية لإثبات قضايا العقيدة. وقد جعل الله مقاييس الجدل متفاوتة كتفاوت العقول البشرية ذاتها، ومن هنا نجد أن الجدل في القرآن والسُّنَّة متعدد الحوارات التي تعددت بتعدد الأغراض والمقامات والمناسبات والأعراض، وقد ورد لفظ الجدل في القرآن الكريم في مثل قوله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾، وقوله تعالى: ﴿وكان الإنسان أكثر شيئًا جدلًا﴾. ومن أنواع الجدل التي جاءت في القرآن الكريم:

١- الجدل بالحق:

وهذا النوع من الجدل رد الله تعالى به على الخصوم بما ساقه تعالى في آيات القرآن من أدلة وحوار عقلي ليثبت العقائد ويقرر قواعد الدين مما جاء على ألسنة رسله وأنبيائه، وما ألهم به عباده الصالحين من قول الحق ورد الباطل، وهو أمر ضروري لتبليغ رسالة الله إلى الناس ودفع ما يقابلها من المطاعن، وكشف الشبهات التي تحدق بها. وهذا النوع من الجدل القرآني إلى جانب ما يحمله من معنى الإفحام والإلزام فهو مشتمل أيضًا على التوجيه والإرشاد إلى طريق الحق والصواب.

٢- الجدل بالحوار:

والقصد منه حب الاستطلاع والاسترشاد والعظة[١]. ومن هذا القبيل جدل إبراهيم عليه السلام مع ربه حيث قال: ﴿رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾. ومن ذلك النوع من الجدل أيضًا جدال الملائكة، وجدال خَوْلَة بنت ثعلبة[٢].

٣- الجدل بالباطل:

وهو ما ورد على ألسنة الكفار من الاعتراضات والشُّبه والدعاوى الباطلة التي وردت في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق﴾. ومن أساليب الجدل في القرآن الكريم ما يلي:

أ- القول بالموجب:

أن تقع صفة من كلام الغير كناية عن شيء أثبت له حكم فيثبتها لغير ذلك الشيء، مثل قوله تعالى: ﴿يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها

---

(١) انظر أنواع الجدل في القرآن الكريم في كتاب «الإتقان» للسيوطي، وكتاب «استخراج الجدل من القرآن» للإمام محمد عبد الرحمن بن نجم المعروف بابن الحنبلي.

(٢) خولة بنت ثعلبة: من نساء المسلمين، ذهبت إلى رسول الله تشكو إليه من زوجها الذي حلف عليها بالظِّهار قائلًا لها: «أنتِ عليَّ كظهر أمي»، فقال لها الرسول: أنتِ مُحرَّمة عليه، واعتبر الظهار طلاقًا لا رجعة فيه، فظلت السيدة تجادله، غير أنه صلى الله عليه وسلم أصر على رأيه، فاشتكت إلى الله ظلم زوجها لها في آخر عمرها، فأنزل الله فيها قوله: {قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله}. وفيها حُكم الظِّهار.

الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾. «فالأعز» في كلام المنافقين جاءت كناية عن فريقهم، و«الأذل» كناية عن فريق المؤمنين، وقد أثبت المنافقين لفريقهم إخراج المؤمنين من المدينة لأنهم هم الأعز، فأثبت الله في الرد عليهم صفة العزة لغير فريقهم، فأثبتها للمؤمنين فكأنه قيل: صحيح ما تقولون: ﴿ليخرجن الأعز منها الأذل﴾؛ ولكن الأعز هو الله ورسوله والمؤمنون، وأنتم الأذل، وستخرجون منها[١].

ب- حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه:

قال السيوطي[٢] في مصنفه «الإتقان» مثل قوله تعالى: ﴿ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم﴾. وهذه الآية توضح أن المنافقين كانوا يؤذون الرسول صلى الله عليه وسلم بقولهم: ﴿هو أذن﴾ أي: يُصدِّق كلَّ ما يُقال له ويسمعه، فيقول الله سبحانه وتعالى ردًّا عليهم: قل إنه يسمع ولكنه يسمع الخير ويقبله، وهو أُذن خير يعرف الصادق من الكاذب، ويصدق بالله ويصدق المؤمنين[٣].

٤- الجدل بالتسليم:

وهو أن يفرض المحال إما منفيًّا أو مشروطًا بحرف الامتناع لكون المذكور ممتنع الوقوع لامتناع وقوع شرطه، ثم يسلم وقوع ذلك تسليمًا جدليًّا، ويدل

---

(١) ذكره السيوطي عن ابن أبي الأصبع في «الإتقان» ج٤ ص٥٥.

(٢) السيوطي: «الإتقان في علوم القرآن» ج٤.

(٣) انظر: ابن كثير: «تفسير القرآن العظيم» ج٢ ص٣٦٧.

على عدم فائدة ذلك على تقدير وقوعه، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون﴾. وهذا يعني أنه ليس مع الله إله آخر، ولو سلمنا بأن معه سبحانه إلهًا للزم من ذلك التسليم بأن كل إله من الاثنين يذهب بما خلق، ولعلا لأحدهما على الآخر، ولا يتم في العالم أمر، ولا ينفد فيه حكم، ولا تنتظم أحواله. غير أن الواقع في العالم خلاف ذلك، وهذا يجعل أن فرض وجود إلهين للعالم أو أكثر محال لم يلزم عنه من المحال. وهذا النوع من الجدل قريب من قياس الخلف السالف الذكر؛ إلا أنه ينفرد عنه بالتسليم الجدلي الوارد في الخيال لا في الواقع[١].

٥- الجدل بالاستدلال على الخصم بإظهار التشهي والتحكم:

فيقال له: لا حجة لك فيما تدعي سوى التشهي والتحكم بالباطل، فإذا جاءك ما يلائم هواك قبلته، وإذا جاءك ما يخالفه رددته؛ مثل قوله تعالى: ﴿أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقًا كذبتم وفريقًا تقتلون﴾. ومثل قوله تعالى: ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض﴾.

٦- الجدل بإبطال دعوى الخصم بإثبات نقيضها:

وذلك مثل قوله تعالى في شأن اليهود: ﴿وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورًا

(١) لمعرفة المزيد عن الجدل في القرآن ارجع إلى: الشيخ محمد علي سلامة: «منهاج الفرقان في علوم القرآن»، وانظر أيضًا: محمد أبو زهرة: «المعجزة الكبرى في القرآن».

وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرًا﴾. فاليهود يعترفون بكتابهم وفي نفس الوقت ينكرون أن الله قد أنزل على أحد من البشر من شيء، وهذا فيه تناقض واضح.

٧- الجدل بالاستدلال بوجود الأثر على وجود المؤثر:

وذلك مثل استدلال سيدنا إبراهيم عليه السلام من وجود الكواكب والشمس والقمر على وجود الله بعد أن تبين له أنها ليست آلهة؛ بل هي مخلوقات حادثة تحتاج إلى محدث أحدثها.

٨- الجدل عن طريق مجاراة الخصم ليتبين عثرته:

وذلك بأن تسلم للخصم ببعض مقدماته، مع الإشارة بأنها لا تنتج ما يريده هو؛ بل هي مساعدة على إنتاج ما تريده أنت، مثل قوله تعالى: ﴿قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتوا بسلطان مبين قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده﴾. فكان الرسل يردون على منكري نبوتهم بقولهم: إن ما ادعيتم من كوننا بشر فهو حق لا ننكره؛ ولكن دعواكم لا تعني عدم الرسالة، ولا تنفي أن يمن الله علينا بها؛ بل إن البشرية شرط في الرسالة إلى البشر. وهذه الطريقة في الجدل قريبة من طريقة القول بالموجب السالفة الذكر؛ إلا أن الفرق بينهما يرجع إلى الوصف الذاتي الوارد في كلام الخصم في القول بالموجب، فإنه قد عومل بنقيض قصده الوارد على لسانه. أما مجاراة الخصم ففيه تسليم ببعض المقدمات، مع بيان أن هذه المقدمات غير

مانعة من نقيض قصده، فهي مراد لا يمنع من الإرادة، وفي مجارات الخصم اجتذاب له إذا سلمت ببعض مقدماته، فعليه أن يُسلم بالنتائج الصحيحة وإلا وقع في الإلزام[١].

٩- الجدل بغرض الانتقال في الاستدلال:

وهو أن ينتقل المستدل من دليل إلى آخر أو من مثال إلى مثال لعدم فهم الخصم وجه الدلالة من الدليل أو المثال الأول عند فهمه وجه الدلالة؛ ولكنه يعمد إلى المغالطة فيأتي بدليل أو مثال آخر لا يجد الخصم معه مفرًّا من التسليم أو الكف عن الجدل، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين﴾.

١٠- الجدل بثبوت لفظ على لسان الخصم في سياق آخر تسجل به عليه ما كان عنده محل شبهة وإنكار:

وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًّا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجًا وهم بالآخرة كافرون﴾.

---

(١) ارجع إلى السيوطي: «الإتقان» ج٤ ص٥٧.

١١- وهناك طريقة السبر والتقسيم، وهو أيضًا باب من أبواب الجدل الذي ورد في القرآن الكريم:

يتخذه المجادل سبيلًا لإبطال دعوة الخصم الذي يجادله عن طريق حصر أوصاف الشيء موضوع الجدل، ثم توضيح أنه ليس في أحد هذه الأوصاف خاصية تبرر ادعاء الخصم فتبطل بذلك دعوى الخصم عن طريق الحصر المنطقي للموضوع، ومن أمثلة هذا الجدل قوله تعالى: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾. وقد أوضح «السيوطي» وجه الاستدلال الجدلي في هاتين الآيتين قائلًا: «إن الكفار لما حرموا ذكور الأنعام تارة وإناثها تارة أخرى رد الله عليهم ذلك بطريقة السبر والتقسيم فقال: إن الخلق لله؛ خلق من كل زوج مما ذكر ذكرًا وأنثى، فما علة تحريك ما ذكرتم؟ لا يخلو إما أن يكون من جهة الذكورة أو الأنوثة أو لكليهما، أو أخذ ذلك التحريم عن الله تعالى أو إرسال رسول أو سماع كلامه ومشاهدة تلقى ذلك عنه، وهو معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا﴾. فهذه وجوه التحريم لا يخرج عن واحدة منها. والأول يلزم عليه أن يكون جميع الذكور حرامًا، والثاني يلزم عليه أن تكون جميع الإناث حرامًا، والثالث يلزم عليه تحريم الصنفين معًا، فبطل ما فعلوه من تحريم بعض في حالة وبعض في حالة أخرى؛ لأن العلة على ما ذكر تقتضي إطلاق التحريم والأخذ من الله بلا واسطة باطل ولم يدعوه، وبواسطة

رسول كذلك لأنه لم يأتِ إليهم رسول قبل النبي صلى الله عليه وسلم. وإذا بطل جميع ذلك ثبت المدعى وهو أن ما قالوه افتراء على الله وضلالة»[١]. وقسْ على ذلك قولهم في تحريم السائبة والوصيلة والضأن والماعز وغيرها.

١٢- ومن أساليب الجدل التي تضمنها القرآن إفحام الخصم ببيان أن دعواه تلزمه القول بما لم يقل به أحد:

وبما لم يعترف به هو، وقد ورد ذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. فلم يدع أحد أن لله سبحانه وتعالى صاحبة، ومن ينسب لله الولد يعتقد وجود الصاحبة لله تعالى؛ إذ كيف يكون له ولد وليس له صاحبة؟ فقد نُفي التولد عنه تعالى لامتناع التولد عن شيء واحد، وأن التولد إنما يكون بين اثنين، وهو سبحانه لا صاحبة له، تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا.

١٣- ومن طرق الجدل التي جاءت بالقرآن طريقة الاستدلال بالتحدي على صدق الدعوى:

فقد تكون الدعوى صحيحة ظاهرة تلمسها الحواس، ويمكن التأكد من صدقها، ومع ذلك تجد من الخصم مكابرة وإنكارًا للواقع، فيأخذ سبيل المعارضة لكل ما خالف معتقده وهواه دون تدبر للحقائق أو نظرة عادلة

(١) انظر: السيوطي: «الإتقان» ج٤ ص٥٥.

موضوعية للأمور كمعارضة المشركين للرسول صلى الله عليه وسلم وتشكيكهم في أن القرآن موحى به إليه من عند الله، كما في قوله تعالى: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾، وقوله تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا﴾. وعلينا كمسلمين أن نزيل التعتيم عن حقائق الإسلام، وأن نوضح أنه دستور حياة ومنهج لها ودعوة صريحة للعلم والتقدم والنهوض والصدق والأخلاق والموضوعية والحكمة(١).

تلك جملة من المناهج التي أمكن أن نتبينها في القرآن والسُّنَّة، وليس حصرًا لما تحمله الآيات القرآنية والأحاديث النبوية من مناهج التفكير المتعددة؛ لأن كلمات الله يصعب حصرها، ويستحيل استخلاص كل ما تحمله من معان، فكل مجتهد يستطيع أن يستخلص من القرآن أفكارًا ومعارف على قدر طاقته البشرية؛ ولكن لا يوجد من يدعي أنه عَرِفَ كل ما تحمله كلمات الله من معنى رغم أن المفسرين والمجتهدين يدرسون القرآن ويستخرجون كنوزه منذ نزوله على محمد صلى الله عليه وسلم حتى أن تقوم الساعة؛ قال تعالى: ﴿قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددًا﴾.

---

(١) انظر: محمد الغزالي: «تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل» ص٣٣ وما بعدها، الطبعة الأولى دار الشروق، بيروت ١٤١١هـ/١٩٩١م.